المشهد الثالث:

سعد وسعيد راعيان على جبل الزيتون

سعد:

٧٣١ - أيا سعيد بفضل الله بارينا
نعلو على جبل يدعون زيتونا

سعيد:

٧٣٢ - إنا نرى تحتنا قد سا ومسجدنا
كلا أيا سعد نلقى الآن محزونا (١)

سعد:

٧٣٣ - لكن قريبا بإذن الله بارينا
يبدى الشعور لرفع الظلم وادينا (٢)

سعيد:

---

(١) محزون: حزين.
(٢) وادينا فاعل يبدى.

٧٢٣ طلائع النصر من فضل الخليل بدت
لما رأيت جنود الفتح يأتونا

سعد :

٧٢٥ - كل البلاد بدت في الترب تفتحها
كل البلاد ترى فيها مصلينا

سعيد :

٧٢٦ - إذا الإمام تلا في الفجر فاتحة
تحاك المصلون مثل الرعد آمينا

سعد :

٧٢٧ - عادت ما آذنا تعلي الأذان وقد
علا المنابر من بالوعظ يبكينا

سعيد :

٧٢٨ - كل المآذن تدعو بالصلاح وقد

عادَ الَّذِينَ لِقاءَ اللهِ يَهْوُونا

سعد:

٧٣٩ - إِنَّ الصَّلاحَ مَلِيكُ العَرْشِ يَنْصُرُهُ

بِأَنَّهُ ناصِرُ الرَّحمنِ هادِينا

سعيد:

٧٤٠ - إِلَيْهِ ساقَ مَلِيكُ العَرْشِ خِيَرَتَهُ

مِنَ العِبادِ وَلَوْ كانُوا سَلاطِينا

سعد:

٧٤١ - اللهُ سَلَّطَ جُنْدَ الحَقِّ وَحْدَهُمُ

عَلَى الَّذِينَ بَدَوْا فِعْلاً شَيَاطِينا

سعيد

٧٤٢ - لِكُلِّ مُعْتَرَكٍ نَأْتِي نُوَثِّقُهُ

نَلْقَى جُنُودَ صَلاحِ الدِّينِ يَعْلُونا

سعد :

٧٤٣ - تِلْكَ الحَقِيقَةُ كانَتْ أَنْبَتَتْ أَمَلاً

بِأَنَّنا نَقْصِدُ القُصْرَ يا حِينا

سعيد :

٧٤٤ - إِنَّ نَظَرْتُ إِلى جَيْشِ الصَّلاحِ صَنا

فَكانَ كالجَيْشِ لَمَّا جاءَ حِطّينا

سعد :

٧٤٥ - بِإِذْنِ رَبِّكَ حَظَّ الجَيْشِ جاءَ صَنا

حَظَّ الَّذِي قَبْلُ قَدْ نالَ النَّياشِينا

سعيد :

٧٤٦ - إِنَّ تَرى أُمَّةَ الإِسْلامِ قَدْ طُهِرَتْ

مِنَ الجَيْشِ جاءَ إِلى القُصْرِ يُحَيِّينا

سعد :

٧٤٧ - ذي أُمَّةُ المصطفى المختارِ وَحَّدَها
دِينُ المُهَيْمِنِ قد جاءَتْ فِلَسْطِينا

سعيد :

٧٤٨ - مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ قد جاءَنا مَدَدٌ
حتَّى يَذُوقَ تَمُرُّ اللهِ غِسْلِينا (١)

سعد :

٧٤٩ - رايَاتُنا الصُّفْرُ قد جاءَتْ مُرَفْرِفَةً
إلى لِواءِ صَلاحِ الدِّينِ حادِينا

سعيد :

٧٥٠ - وذا لِواءُ صَلاحٍ كالعُقابِ بَدا
لكِنَّهُ صُفِّرَتْ بالنَّصْرِ تُرْوِينا (٢)

---

(١) غسلين : ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره.
(٢) العقاب : طائر من كواسر الطير قوي المخالب حاد البصر
ترويينا : تجعلنا نرتوي ونشعر بالارتواء.

سعد :

٧٥١ - شَطْرانِ قد سَطَّرا اللهُ واحِدُنا
وَعَبْدُهُ أحمدُ المُختارُ هادِينا (١)

سعيد :

٧٥٢ - هذا اللِّواءُ لِواءُ الحَمْدِ نَعْرِفُهُ
من كُلِّ مُعْتَرَكٍ ذاكَ الطَّلائِعِينا

سعد :

٧٥٣ - هذا لِواءُ عِمادِ الدِّينِ يَرْفَعُهُ
هذا لِواءُ جِهادٍ قد سَمَا فِينا

سعيد :

٧٥٤ - رَفْعُ العِمادِ لِواءَ البِرِّ عادَ لَنا
عَوْدًا إلى اللهِ إذْ صَحَّتْ مَساعِينا

(١) مكتوب على راية صلاح الدين الصفراء ثم لواء الأصفر: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

سعد :

٧٥٥ - هذا الثواءُ عِمادُ الدِّينِ يَرْفَعُهُ

على زُهاءَ وقد عادَتْ لِنادِينا

سعيد :

٧٥٦ - ومِنْ يَمينِ عِمادِ المالِ رايَتُهُ

وخاتَمُ المُلْكِ نُورُ الدِّينِ رأيُنا

سعد :

٧٥٧ - ذِي رايَةُ الشَّرْمِ تَمّا الشَّرْمُ كانَ أَثَرٌ

بِحارِمٍ ذاكَ حِصْنٌ باتَ يُؤْذِينا

سعيد :

٧٥٨ - بِشُهْرِ هَوْمٍ مَلِيكُ العَرْشِ أَكْرَمَنا

بِالنَّصْرِ في حارِمٍ سَتْرُ المُصَلِّينا

سعد :

٧٥٩ - والنَّصْرُ من حَرَمٍ مِثْلُ افْتِتاحِ رُحًا
ويَوْمَ حِطِّينَ نَصْرُ اللهِ يَأْتِينا

سعيد:

٧٦٠ - بُعْدَ نَصْبِ لِواءٍ نَبْجِلِيٍّ بِهِما
بِذا اللِّواءِ بِمادُ الَّذِينَ يَحْمُونا

سعد:

٧٦١ - وذا اللِّواءُ بِإِذْنِ اللهِ بارِئِنا
يَعْلُو على القُدْسِ إِذْ أَقْضَى يُنادِينا

سعيد:

٧٦٢ - وعِنْدَ رَفْعِنا لِواءَ نَبْجِلِيٍّ عَنَّتْ
نَصْرٌ مِنَ اللهِ إِذْ مَحَّتْ أَمانِينا

سعد:

٧٦٣ - وكُلُّ ذَنْبٍ سِوَى ذَنْبِ الجِهادِ نَرَى

دَوْمًا بِهِ السُّمَّ أَوْنَلْقَى طَوَاعِينَا

سعيد :

٧٦٤ - وَكُلُّ مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَاكَ فَذَا
تَعْيِينُ الْمُفَضَّلِ مَنْ قَدْ عَاشَ مَأْفُونَا (١)

سعد :

٧٦٥ - وَصَلْ سَمِعْتَ بِلِصٍّ رُبَّمَا سَرَقَتْ
يَمِينُهُ قَبْلَ أَنْ أَظْهَرْتَ سِكِّينَا

سعيد :

٧٦٦ - قَدْ تَمِيلُ بِهِمَا الدِّينِ إِذْ رَفَعَتْ
يَمِينُهُ رَايَةَ لِلْحَرْبِ تَعْنِينَا

سعد :

٧٦٧ - يَمِينُهُ جَيْشَيْنِ بِمَادِ الدِّينِ مَنْ حَفِظُوا

(١) مأفون : ناقص العقل .

كلام مولاهم الرحمن تلقينا

سعيد:

٧٦٨ - شيوخهم لقنوهم ذكر بارئهم

لفظا ومعنى وكان اللفظ ما عونا

سعد:

٧٦٩: وسنة المصطفى المختار قد نشرت

معنى الكتاب الذي يزداد تبيينا

سعيد:

٧٧٠ - شيوخ إسلامنا أبطال نهضتنا

بجهدهم قد غدت بيضا لياليا

سعد:

٧٧١ - هم ذكروا بما قال الرسول لنا

من الحج عودوا إلى طه ويا سينا (١)

سعيد:

٧٧٢ - وذا الغزالي بعيد الموت قد وجدوا

أن الصحيح علامة زينا جينا (٢)

سعد:

٧٧٣ - يقول عودوا إلى طه وسنته

هذا صحيح البخاري ذاك رأينا

سعيد:

٧٧٤ - قام العباد وجند الله تتبعه

ترى الجميع لساح الحرب ساعينا

سعد

---

(١) طه ويا سين من سور القرآن الكريم. وثمة رأي يقول إن طه وياسين من أسماء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي توفي وعلى جدار صحيح الإمام البخاري.

٧٧٥ - أعلمنا تراسوهم أجمعين كذا
ترى الشيوخ لنار الحرب يذكونا(١)

سعيد: ـــــــ

٧٧٦ - شيوخنا أنت من المحراب تبصرهم
ومن القتال بكل ذم يقومونا

سعد: ـــــــ

٧٧٧ - إن اللواة صلاح الدين يحملهم
هو اللواة بما داصاغ تكوينا

سعيد: ـــــــ

٧٧٨ - وحاملوه مليك العرش ينصرهم
بهم أعز لنا رب الورى دينا

سعد: ـــــــ

---

(١) أذكى النار: أوقدها.

٧٧٩ - وذا التلواء بإذن الله تبصرة

عما بقدس وليست الله مخزينا

سعيد:

٧٨٠ - وستوف تسمع صوتا يلزان عما

من كل مئذنة تعلو وتعليتا

المشهد الرابع:
صلاح الدين وبعض قواده أمام أسوار القدس

صلاح الدين:

٧٨١ - أخي إننا من فضل خالقنا الباري
نذوق بنعمته الخصم أقوال مسمار

٧٨٢ - وها هو جيش الحق قد جاء رافعاً
له راية صفراء باحت بأسرار

٧٨٣ - تقول بأن الله ربي واحد
ومحمد رسول الله قد أرسل الباري

الملك العادل:

٧٨٤ - وذي راية تعلو على الجيش كله
تدل على الإسلام نعمته بظله

٧٨٥ - وكل من الجند الكرام لقد أتى

وكلُّ بدٍّ من السلاحِ مِنْ جنسِ صِلِّيه(1)

٧٨٦- وكلُّ إلى الفتحِ المبينِ لقد سعى

أو الموتِ موتُ السيفِ في ظلِّ سلَّيه

صلاح الدين:

٧٨٧- ومِنْ فضلِ صَوْلاتٍ نزلنا الجيشَ دائمًا

على أُصْبَةٍ حتى ولو ظُنَّ نائما

٧٨٨- وذاكَ لأنَّ الحربَ للهِ ربُّه

ليُنقِذَ مَنْ في القدسِ فلاحَ صائما

٧٨٩- وينقذَ مَنْ أمسى بمسجدِ صخرةٍ

يُصلِّي ويقضي الليلَ قد طالَ قائما

الملك العادل:

٧٩٠- أخي كلُّ حُنْدِيٍّ ليعرفَ موقعا

---

(1) الصِّلّ: الحيّة من أخبث الحيّات.

لَهُ فِي غِمَارِ الحَرْبِ إِذْ أَمَّ مَوْضِعا

٧٩١ - جَمِيعُ الَّذِي تَحْتَاجُهُ الحَرْبُ صُنْعُهَا

لِيُتْقِنَهُ الجُنْدِيُّ مِنْ يَوْمِ أُرْضِعا

٧٩٢ - فَأَنْتَ تَرَى السَّيْفَ الصَّقِيلَ المُهَنَّدَا

وَأَنْتَ تَرَى رُمْحًا طَوِيلًا وَمِدْفَعا

صلاح الدين :

٧٩٣ - أَعَادِلُ إِنَّ الجَيْشَ مِنَ السِّلَاحِ قَدْ بَدَا

كَمَا قَدْ تَخَيَّلْنَا فَقَدْ مَلَأَ المَدَى

٧٩٤ - وَيَقْدُمُهُ أَهْلُ القِسِيِّ وَقَدْ بَدَوْا

صُفُوفًا وَكُلٌّ رَاحَ فِي الصَّفِّ سَيِّدَا

٧٩٥ - وَسَهْمُ كُلٍّ بَاتَ يَعْرِفُ رُتْبَهُ

لِعَيْنِ عَدُوٍّ حَيْثُ يَظْهَرُ مِرْوَدَا

الملك العادل :

٧٩٦ - أَرُكْبٌ سَتَرْهِمٍ بَاتَ يَعْرِفُ دُرْبَهُ
سُعَادَ أَمْ رَبْعًا أَعَزُّ وَقُرْبَهُ

٧٩٧ - وَإِذْ قِيلَ إِنَّ السَّهْمَ مَوْتٌ وَرُبَّمَا
يَطِيشُ فَلَا يَدْرِي إِذَا سَارَ دُرْبَهُ

٧٩٨ - فَإِنَّ لِسَهْمِ الْيَوْمِ لَحْمًا يَخُصُّهُ
أَرَ إِنَّهُ يَلْقَى إِذَا طَاشَ تِرْبَهُ

صلاح الدين:

٧٩٩ - وَإِنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ قَدْ زَادَ طُولُهَا
أَسِنَّتُهَا نَأْبٌ يَكُونُ أُغُولُهَا

٨٠٠ - وَتَسْمَحُ إِنْ كَانَ الْأُغُولُ بِصَدْرِ مَنْ
تَبَدَّى بِحَرْبٍ أَنَّهُ الْيَوْمَ غُولُهَا

٨٠١ - وَتِلْكَ رِمَاحٌ فِي أَكُفٍّ كُمَاتِهَا
عَلَى خَيْلِ حَيَّاتٍ وَقَدْ صَحَّ غِيلُهَا

الملك العادل:

٨٠٢ - رِماحٌ أَتَتْ مِنْ غابَةِ الهِنْدِ والسِّنْدِ
غَزاها سَحابُ الماءِ والبَرْقِ والرَّعْدِ

٨٠٣ - فَلا تَعْرُوَنْ إِنْ قالُوا قَتَلْتَ غادَةً
إِذا تَتَثَنَّى مِثْلَ قَدِّكَ أَوْ هِنْدِ (١)

٨٠٤ - وتَأْتِي على كُرْسِيِّ إِذا مُرِسَتْ بِهِ
يَكُونُ مَلِيحَ الصَّدْرِ بِالبُغْضِ والحِقْدِ

صلاح الدين:

٨٠٥ - وَيَعْلُو على خَيْلِ الكُماةِ فَوارِسٌ
وَوَجْهُ لِكُلِّ ساعَةِ الرَّوْعِ عابِسُ (٢)

٨٠٦ - وهذا لَدَيْهِ الرُّمْحُ قد ضاقَ طُولُهُ

---

(١) لا تعرو: لا تعجب.
(٢) كماة جمع كمي، وهو الشجاع المقدام الجريء. كان عليه سلاح أو لم يكن.

وفاقَ اقْتِناءً فَهْوَ بِالرُّمْحِ داعِسُ (١)

٨٠٧ - وهذا الذي فيهِ السَّيْفُ والسَّيْفُ قاطِعٌ

إذا هَزَّهُ في الخَصْمِ غَطَّتْ رَوامِسُ (٢)

الملك العادل :

٨٠٨ - جَميعُ الذي في البالِ صَحَّ سِلاحا

لَدى الجُنْدِ باتُوا يأْمَلُونَ نَجاحا

٨٠٩ - هُمُ وَظَّفُوا كُلَّ التَّجارِبِ قَدْ مَضَتْ

إذا هِيَ قَوَّتْ لِلْجَميعِ جَناحا

٨١٠ - ومِنْ فَضْلِ رَبِّي قَدْ مَنَعْنا سِلاحَنا

وهذا كِباشٌ قَدْ أَجَدْنَ نِطاحا

صلاح الدين :

---

(١) داعس : طاعن .

(٢) روامس جمع رامسة ، الريح التي تثير التراب وتدفن الآثار .

٨١١ - جُنُودُ مَلِيكِ الْعَرْشِ مِنْ ضَوْءِ قُرْبِهِمْ
ثُمَّ طَوَّرُوا كُلَّ السِّلَاحِ لِضَرْبِهِمْ

٨١٢ - ثُمَّ لَبِسُوا مِنْ كُلِّ قُرْبٍ لَبُوسَهَا
بِتَرٍّ وَبَحْرٍ وَبِسُفْنٍ سَرَتْ بِهِمْ

٨١٣ - وَحِينَ تَأَجَّلَ بُرْجٍ ذِي الْبَوَارِجُ طُلِّمَتْ
وَأَبْرَاجُ بَرٍّ حِينَ تَعْلُو لِسُحْبِهِمْ

الملك العادل:

٨١٤ - وَنَحْنُ وَقَدْ جِئْنَا إِلَى قُدْسِنَا الْغَالِي
لِإِنْقَاذِهِ مِنْ شَرِّ شِرْكٍ وَإِضْلَالِ

٨١٥ - نَجِيءُ إِلَيْهِ بِالسِّلَاحِ جَمِيعِهِ
وَنَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ إِذْ كُتِبَ عَالِي

٨١٦ - وَأَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ نَصْرًا عَلَى الْعِدَى
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْهُ مِنْ كُلِّ أَحْوَالِي

صلاح الدين :

٨١٧ - أخي إننا مِنْ أجْلِ قُدْسِنا لَنَفْعَلُ
جَميعَ الذي طاقاتُنا تَتَحَمَّلُ

٨١٨ - ونَسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ شَدَّ لِضَعْفِنا
بِما رَبُّنا مِنْ قُوَّةٍ يَتَفَضَّلُ

٨١٩ - وليْسَ لَنا حَوْلٌ ولا فَضْلُ قُوَّةٍ
ولكِنْ على رَبِّ القَدَرِ نَتَوَكَّلُ

الملك العادل :

٨٢٠ - بِفَضْلِ جَميلِ العَرْشِ ذا جَيْشُنا أتَى
وكانَ على دَحْرِ العَدُوِّ لَقَدْ نَوى

٨٢١ - لَدَيْهِ مِنَ الآلاتِ ما يَسْتَحِقُّ العِدى
وإيمانُهُ باللهِ قد أدْرَكَ النُّهى

٨٢٢ - وأقْوَلُ ما قد جاءَ في دَرْبِ قُدْسِهِ

أَلا إِنَّهُ ساقَ المَجانِيقَ لِلرَّدَى

صلاح الدين :

٨٢٣ - فَداضِعُهُ قد أَخْرَسَتْ كُلَّ ناطِقٍ

فَلَيْسَ لِخَصْمٍ مِدْفَعٌ فَوْقَ شاهِقِ

٨٢٤ - لَقَدْ ماتَ في كُلِّ المَواقِعِ مِدْفَعٌ

كَما ماتَ مَنْ يَحْشُوهُ مِنْ نارِ حارِقِ

٨٢٥ - وقد أَنْقَذَ الرَّحمنُ مِنْ شَرِّ مِدْفَعٍ

كَما أَنْقَذَ الرَّحمنُ مِنْ شَرِّ طارِقِ

الملك العادل :

٨٢٦ - وإِذْ صارَ دَرْبُ الجَيْشِ لِلْقُدْسِ سالِكا

فَقَدْ صارَ مَنْ في دَرْبِهِ اليَوْمَ هالِكا

٨٢٧ - فَهاهُوَ جَيْشُ الحَقِّ واصَلَ سَيْرَهُ

وفي سَيْرِهِ قد كانَ سَدَّ المَسالِكا

٨٢٨ - وفي ساحِ قُدْسٍ كانَ أَلْقَى رِحالَهُ

وكانَ لَدَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ بِبالِكا

صلاح الدين :

٨٢٩ - وكُنّا نَزَلْنا غَرْبَ قُدْسٍ بِأَسْحارِ

ولكِنْ شَمالُ القُدْسِ أَحْرَى بِأَوْزارِ(١)

٨٣٠ - لِهذا انْتَقَلْنا لِلشَّمالِ لِعِلْمِنا

بِأَنَّ اتِّساعَ الأَرْضِ خَيْرٌ لِكُرَّارِ

٨٣١ - ونَحْنُ على عِلْمٍ بِأَنَّ عَدُوَّنا

لَيَقْبَعُ خَلْفَ السُّورِ أَشْبَهَ بالفارِ

الملك العادل :

٨٣٢ - ونَحْنُ على عِلْمٍ بِأَنَّ عَدُوَّنا

إِذا ما أَتاهُ المَوْتُ فَرَّ إِلى السِّلاحِ

---

(١) أسحار ، جمع سَحَر : آخر الليل قبيل الفجر . أوزار الحرب : أثقالها جمع وزر ، بمعنى ثقل .

٨٣٣ - تَجِيءُ إِلى ساحٍ فَتُكْشَفُ عَوْرَةٌ
فَتُسْتَرُ بِالبِيضِ الرِّقاقِ وَأَرْماحِ

٨٣٤ - وَلَيْسَ يُفِيقُ الخَصْمُ مِنْ سُكْرِ مَوْتِهِ
وَلَيْسَ يُفِيقُ الخَصْمُ مِنْ سَكْرَةِ الرَّاحِ

صلاح الدين:

٨٣٥ - وَكانَ فَواقَ الخَصْمِ إِذْ ذاكَ مِدْفَعٌ
وَما هُوَ خَلْفَ السُّورِ إِلّا يُقَبْقِعُ

٨٣٦ - وَلَمّا رَآنا قادِمِينَ فَإِنَّهُ
يَفِرُّ وَمِنْ ساحِ القِتالِ لِيُسْرِعُ

٨٣٧ - وَإِنّا بِإِذْنِ اللهِ نَأْتِي لِضَرْبِهِ
أَلا إِنَّ تَكْرارَ الضَّرْبِ لَمُوجِعُ

الملك العادل:

٨٣٨ - وَقَدْ لاحَ أَنَّ الخَصْمَ يَعْرِفُ رُتْبَةً

إذا فرّ أو قد كرّ يطلب سِرْبَهُ

٨٣٩ - ونحن عرفنا سِرّهُ حالَ غرّهِ

ونحن صِرارٌ مَنْ تعمّد ضربَهُ

٨٤٠ - إذا راهم فرّاً لا يضلّ طريقَهُ

فإنْ راهم كرّاً فإنّ ذاك كربَهُ

صلاح الدين :

٨٤١ - طبيعةُ مصقولٍ إلى الخلف يرجعُ

وما جاءَ فاوجُهٍ وظهرٍ ليوجعُ

٨٤٢ - وقلّ نجاحُ الخصمِ باتَ مُحاصَرًا

فكيفَ به إنْ كانَ بالشرّ يولعُ

٨٤٣ - وكيفَ به إنْ كانَ راحَ مُحاصَرًا

بأمّةِ توحيدٍ لمولاكَ تركعُ

الملك العادل :

٨٤٤ - بِشَهَادَةِ نَصْرٍ أَكْرَمَ اللهُ جُنْدَهُ

بِأَنَّ خَصْمًا بَاتَ يَعْمَلُ ضِدَّهُ

٨٤٥ - جَمِيعُ الَّذِي قَدْ جَاءَهُ كَانَ قَدَّهُ

جَمِيعُ الَّذِي قَدْ جَاءَ قَيَّدَ فَرْدَهُ

٨٤٦ - وَتَقْيِيدُ فَرْدٍ كَانَ ذِي فُرْصَةٌ

لِإِطْلَاقِ خَصْمٍ سَاعَةَ الرَّوْعِ أَسْدَهُ

صلاح الدين :

٨٤٧ - أَحَاطَ عَدُوٌّ سُورَ قُدْسٍ بِمَائِهِ

وَضَمَّ إِلَى عُمْقٍ فَسِيحَ فَضَائِهِ

٨٤٨ - أَخَا بِيدُهُ قَدْ أَغْرَقَتْ مَاءُ سُورِهِ

وَمَا كُلُّ أُخْدُودٍ عَظِيمٍ بَلَائِهِ

٨٤٩ - فَمِنْهَا الَّذِي بِالْمَاءِ قَدْ تَمَّ مَلْؤُهُ

وَمِنْهَا الَّذِي نِيرَانُهُ لِسَمَائِهِ

الملك العادل :

٨٥٠ - على سُورِ قُدْسٍ قد تقاطَرَ حُرَّاسُ
بأيْدِي فريقٍ منهُمُ راحَ أجْراسُ

٨٥١ - وتِلْكَ بُرُوجٌ غطَّتِ السُّورَ كلَّهُ
وكلٌّ مِنَ الأبْراجِ يَحْرُسُهُ ناسُ

٨٥٢ - وكلٌّ مِنَ الأبْراجِ فِيهِ تَغَذِيَةٌ
إذا أُشْعِلَتْ طارَتْ كما طارَ خَنَّاسُ

صلاح الدين :

٨٥٣ - لقد عادَ سُورُ القُدْسِ يُشْبِهُ قَلْعَةً
ولَمْ يَتْرُكِ الحُرَّاسُ فِي السُّورِ ثُقْبَةً

٨٥٤ - وآلاتُ حَرْبٍ كُلُّها فَوْقَ سُورِها
وقَصْدُهُمُ أنْ يَمْلِكَ السُّورَ صَنْعَةٌ

٨٥٥ - وغايَتُهُمْ أنَّ العِبادَ الَّذِينَ أتَوْا

وكلٌّ على صوتٍ يُقدِّمُ بيعةً

الملك العادل

٨٥٦ - ومَنْ قد رأى جُندَ العدوِّ قُعودا

على السُّورِ نادى قد رأيتُ عَبيدا

٨٥٧ - ومَنْ كانَ ذا علمٍ بحالِ عدوِّهِ

يقولُ أتى إنّي رأيتُ قُرودا

٨٥٨ - أكلُّ جُنودِ القُدسِ يعلونَ سُورَها

ومَنْ جاءَ هذا لا يَلوحُ رَشيدا

صلاح الدين :

٨٥٩ - أخي إنّ جُندَ الحقِّ تنتظرُ الأمرا

لتحويلِ ما في النفسِ مِنْ عزمةٍ جهرا

٨٦٠ - ونحنُ بعونِ اللهِ جُندُ محمّدٍ

ونسألُ ربَّ العرشِ أنْ يمنحَ النصرا

٨٦١ - وَنَحْنُ بِإِذْنِ اللهِ نَزْعِمُ خَصْمَنا
لَدَى سُورِ قُدْسٍ حَيْثُ نَدْحَرُهُ دَحْرَا

الملك العادل :

٨٦٢ - وَإِذْ قَدْ أَبَى خَصْمٌ دُعَاءً إِلَى السِّلْمِ
وَقَابَلَنَا بِالغِشِّ عَمْدًا وَمِنْ عِلْمِ

٨٦٣ - وَذَا بَالِيَانُ الغَدْرِ يَكْشِفُ سَوْءَةً
وَكَانَ لَدَيْنَا فِي الإِسَارِ بِلَا ظُلْمِ

٨٦٤ - وَيَزْعُمُ عَوْدًا بَعْدَ نَيْلِ زِيَارَةٍ
لِأَهْلٍ بِقُدْسٍ ثُمَّ يَكْذِبُ فِي الزَّعْمِ

صلاح الدين :

٨٦٥ - أَمَرَ بِالِيَانُ المَكْرِ وَظَّفَ مَكْرَهُ
وَكَانَ أَتَى سَعْيًا إِلَى أَهْلِ ضَدَّهُ

٨٦٦ - فَلَوْ زَارَهُمْ فِي القُدْسِ زِيدَ سَتْرَهُ

وعادَ إلَيْنا بَعْدَ أنْ كَفَّ شَرَّهُ

٨٦٧- ولَكِنَّهُ قَدْ كانَ وَظَّفَ غَدْرَهُ

فَتِلْكَ جُيُوشُ الخَصْمِ تَسْمَعُ أمْرَهُ

الملك العادل :

٨٦٨- وأنْتَ أخِي كاتَبْتُهُ وسَأَلْتُهُ

لِماذا نَقَضْتَ العَهْدَ كُنْتَ غَزَلْتَهُ

٨٦٩- فَقالَ بِأنَّ الغَدْرَ طَبْعِي دائِمًا

وأنْتَ لِحِلْمٍ ما طَلَبْتُ أنَلْتَهُ

٨٧٠- وإنِّي على ذا الغَدْرِ لَسْتُ بِنادِمٍ

وأنْتَ لِضَيْفِيكَ خَيْرًا فَعَلْتَهُ

صلاح الدين :

٨٧١- ولَمْ يَكْتَفِي بِالغَدْرِ قَدْ كانَ جاءَهُ

ولَمْ يَكُ ذاكَ الغَدْرُ بالشَّيْءِ ساءَهُ

٨٧٢ - ولكنّهُ قد كانَ أتّبَ خصمَنا
عَلَيْنا وذا التّأْنيبُ قد كانَ شاءَهُ(١)

٨٧٣ - وكانَ تمادى حينما قادَ خصمَنا
إلى حَرْبٍ مَنْ أسْدى إليْهِ سخاءَهُ

٨٧٤ - أخي إنّنا فقراءُ سَنْبَدَأُ حَرْبَنا
عَدُوّاً أبى فَهْماً سِوى السّيْفِ جاءَهُ

٨٧٥ - ونسْألُ ربَّ العَرْشِ نَصْرَ جُنودِهِ
على أهْلِ شِرْكٍ يَرْفَعُونَ لِواءَهُ

٨٧٦ - هُمُ زَعَمُوا أنَّ الثّلاثَةَ واحِدٌ
وذاكَ حِسابٌ يَتّعُونَ بِناءَهُ

٨٧٧ - وإذْ كانَ عَقْلُ الطّفْلِ يأْبى حِسابَهُمْ
فإنّهُمُ كانُوا أعادُوا طِلاءَهُ

---

(١) أتّبَ علينا : حَرّضَ علينا .

٨٧٨ - يَقُولُونَ قُرْصُ الشَّمْسِ شَعَّ ضِيَاؤُهُ

فَقُلْتُ دِفْءٌ كَانَ جَاءَ سَمَاءَهُ

٨٧٩ - وَذِيقَ جُهْدَ ضَائِعٍ أَشْبَهَ الَّذِي

يُفَتِّتُ بَعْدَ الْجُهْدِ بِالْمَاءِ مَاءَهُ

٨٨٠ - أَخِي إِنَّنَا حَقّاً يَطُولُ انْتِظَارُنَا

حِفَاظًا عَلَى قُدْسٍ نَصُونُ إِخَاءَهُ

٨٨١ - لَقَدْ وَعَدُوا وَقْتًا بِتَسْلِيمِ قُدْسِنَا

إِلَيْنَا وَذَا وَعْدٌ أَطَالُوا إِشَاءَهُ

٨٨٢ - وَذَا بَالِيَانُ الْغَدْرِ يَنْقُضُ عَهْدَهُ

فَلَاحَ كَثُعْبَانٍ أَلَوْنَ رِدَاءَهُ

٨٨٣ - وَقَدْ كَانَ أَخْفَى السُّمِّ ضَمَّ لُعَابُهُ

إِلَى أَنْ رَمَى نَابٌ بِمَا كَانَ دَاءَهُ

٨٨٤ - وَقَدْ زَالَ زَيْفٌ عِنْدَمَا عَضَّ نَابُهُ

وإذا حلَّ داءٌ أينَ تُلقى دواءَهُ

٨٨٥ - وهذا عدوُّ الذينِ قد حلَّ داؤُهُ

وفي الصارمِ الهنديِّ تُلقى شفاءَهُ

٨٨٦ - ونحنُ بقوّةِ اللهِ نبدأُ حربَنا

إذا غدرُنا فجرًا أبانَ ضياءَهُ